

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة

قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

Topics of the sciences of the Qur'an in modern readings

Critical reading of the term (Reasons Of Revelations)

رياض بن جامع، جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة(الجزائر)

riad.bendjama@yahoo.com

تاريخ إرسال المقال: 09-08-2023 تاريخ قبول المقال: 08-11-2023

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إنجاز قراءة تحليلية في مفهوم أسباب نزول القرآن في الخطاب الحداثي؛ مع تحليله ومناقشته وفق رؤية نقدية تأصيلية، كاشفة عن الإشكالات المعرفية التي أثّرت حوله؛ وذلك بتقديم نبذة موجزة عن هذا العلم تعريفاً ونشأة، ثمّ تتبّع الأقوال التي تطعن في وجوبه ومشروعية وجوده، جملة وتفصيلاً، ثمّ التعقيب على تلك الأقوال بما يكشف خطأها وزيفها، وعدم موضوعية أصحابها في جملة من المسائل التي تضمّنّها البحث.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن- أسباب النزول - الحداثيون - المتخيل الديني.

Abstract:

This article aims to achieve an analytical reading in the concept of the Reasons And Occasions Of Revelations Of The Holy Quran in the modernist discourse. With its analysis and discussion according to an original critical view, revealing the cognitive problems raised around it, By providing a brief overview of this science, its definition and origin, then following the sayings that challenge its obligation and the legality of its existence, in a sentence and detail, and then commenting on those sayings in a way that reveals their error and falsity, and the lack of objectivity of their owners in a number of issues included in the research.

Key words : Quran Sciences, Revelations Of The Holy Quran, Modernist,religious imaginary.

مقدمة:

يثير هذا المقال إشكالية تناول القراءات الحداثيّة لمباحث علوم القرآن الكريم، بتسليط الضوء على موقف الحداثيين العرب من مبحث "أسباب النزول" تحديداً، باعتباره واحداً من أبرز المباحث، الذي حُفّ بكثير من الشبهات والشوائب، التي حاول كثير من خصوم الإسلام قديماً وحديثاً أن يصوّبوا إلى علوم الشريعة سموم سهامهم؛ لأغراض عديدة وغايات متباينة، ظاهرة كانت أو مضمرة.

إنّ المطالع لبحوث الحداثيين في هذا الباب، يجدهم يستخدمونه بصورة انتقائية كغطاء يمرّرون من خلاله الأفكار، والنظريات الحداثيّة، لإعادة قراءة الخطاب القرآني وصياغة مفاهيم شرعية جديدة حول الدين، والوحي، والنبوة، والقرآن، وأحكام الشريعة، مع العمل على إضفاء طابع من المشروعية على تلك الآراء، وتهيئة الأذهان لقبولها، وهو ما يعني أنّهم لم يدرسوا قضية أسباب النزول - وغيرها من قضايا علوم القرآن، بل سائر علوم الإسلام - لأسباب علمية مجرّدة، أو أهداف موضوعية خالصة، تبغي الوصول للحقّ، والبحث عن الصواب بإنصاف وعدل، وإنّما كان بحثهم منذ بدايته موجّهاً لتحقيق أغراض محدّدة سلفاً، تتعامل مع القرآن والسنة النبوية؛ بغرض توظيف جوانب معيّنة منها، واستخدامها كشواهد على صحّة مجموعة من المقولات الحداثيّة، مثل: القول بتاريخية⁽¹⁾ القرآن، وأنسنته⁽²⁾، وبشريته، وتأثّره بالواقع الذي نزل فيه - بل أولوية الواقع على النصّ - وعدم صلاحية أحكام القرآن للتطبيق في كلّ زمان ومكان، وما أشبه ذلك من الأفكار. إنّ العلاقة التي أقامها الحداثيون العرب مع التراث وعلومه ومناهجه، علاقة قطيعة نفعية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث بكونه يسهم في تعميق الفهم لدى الباحثين في العلوم الشرعية عامة وعلوم القرآن خاصة عن السياسة المتّبعة من قبل الحداثيين في طرح أفكارهم عن الدين الإسلامي من منظور معاصر.

(1) التاريخانية: نظرية مادية يستند إليها في تفسير العلاقة بين الواقع والمحسوس، وبين ما هو خارج نطاق الواقع المحسوس، لا فرق في ذلك بين الوحي وغيره. ينظر: عبد الله القرني، تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، مركز تكوين، لندن، ط1، 2018، ص19.

(2) الأنسنة: رؤية كونية مادية تؤمن بقدرات الإنسان المطلقة وتتكبر وجود أي قوى خارجية عنه توجه الإنسان الذي ينتج المعرفة وله صلاحية تقييمها بقدراته اللامحدودة. ينظر: ندى حمزة، "مصطلح الأنسنة وتجلياته في الفكر المعاصر، ودراسة تحليلية نقدية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، م28 ع6، 2020، ص111.

أهداف الدراسة:

وللكشف عن طبيعة الدور الذي يسهم الفكر الحداثي في إعادة تشكيل صورة الدين برؤية حداثيّة وبقطيعة مع ما استقر في تراثنا، سيحاول البحث تحقيق جملة من الأهداف تتمثل في:

- الوقوف على التفسير الحداثي المتعلّقة بظاهرة أسباب النزول.

- الرد على التّأويلات التي صدرت عنهم.

- مناقشة أهمّ الأفكار التي حاولوا تبينها عن القرآن.

إشكالية الدراسة:

إنّ ما سبق ذكره في المقدمة يقودنا إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس المتعلّق بالدوافع التي جعلت الحداثيون يعيدون النظر في مفهوم علوم القرآن عموماً ويعلم أسباب النزول خصوصاً؟

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة استثمار آليات المنهج الوصفي التحليلي، إذ إنّ الوصف يعين على الكشف عن العلاقات الموجودة في الظاهرة المدروسة وصياغتها في صورة أسئلة بحثية أو فروض خبرية، والمنهج التحليلي يساعد في بلوغ نتائج أكثر دقة بنهاية البحث؛ من خلال أعمال التجزئة (التفكيك) والتقسيم والتقييم (النقد) للمشكلة، والتعمق في التفسير، ثم الاستنتاج، بمعنى أن أسس المنهج التحليلي تكمل إجراءات المنهج الوصفي أو غيره من المناهج العلمية.

المبحث الأول: مفهوم أسباب النزول في الدرس التراثي والفكر الحداثي العربي:

إنّ المنهجية العلمية توجب على الباحث قبل أن يلج في دراسة أي ظاهرة هو تحديد مفاهيمها المصطلحية، للتيسير والتسهيل على القارئ في إدراك مقاصد الباحث، وإزالة الغموض حولها والذي قد تستعمل في غير موضعها، أو يجري تفسيرها على خلاف المراد منها لا سيما وأن كثيراً من الإشكاليات المعرفية ناتجة من اضطراب الفهم في تحديد المفاهيم والوقوف على مقاصدها الحقيقية ولهذا فقد جعلنا هذا المبحث مبحثاً مفاهيمياً لأهم مصطلح من وجهة تراثية وحداثية حتى نعرف نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف، ولذلك قسمناه إلى فرعين:

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول عند العلماء المسلمين:

من المهم أن نبدأ أولاً بتحرير مفهوم أسباب النزول عند العلماء المسلمين قديماً وحديثاً، ليتبين لنا حقيقة مفهوم هذا المصطلح، وما المقصود به، وما الذي يصلح أن يكون سبب نزول، وما لا يصلح أن يكون سبباً، ثم لنقارن بين هذا المفهوم كما أسسه علماءنا قديماً وحديثاً، وتلك المفاهيم التي قدّمها أصحاب الفكر الحداثي.

ومما يلفت النظر أننا لا نكاد نقف على تعريف لهذا المصطلح عند العلماء المتقدمين، كعادتهم في عدم الانشغال بوضع الحدود والتعريفات النظرية، والتّركيز على الجانب العملي المتمثل في جمع ما روي من أسباب النزول.

أما المتأخرون والمعاصرون، فقد قدّموا تعريفات عديدة لأسباب النزول، منها: تعريف السيوطي (ت911هـ) بأنّه: «ما نزلت الآيات أيام وقوعه»⁽¹⁾. وزاد الزرقاني (ت1948) هذا التعريف تفصيلاً وضبطاً، فرأى أنّ: «سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنّه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال»⁽²⁾. وعرفه مناع القطان (ت1999) بأنّه: «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»⁽³⁾، ومال بعض الدارسين المعاصرين إلى تعريف سبب النزول بتعريف جيد يجمع جلّ صوره فعرفه بأنّه «كلّ قول أو فعل أو سؤال ممّن عاصروا التنزيل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه»⁽⁴⁾، أو «هو الحوادث والأسئلة التي نزل بشأنها قرآن وقت وقوعها»⁽⁵⁾. وعدّل مساعد الطيّار هذا التعريف بقوله: «كلّ قول أو فعل أو سؤال ممّن عاصروا التنزيل نزل بشأنه قرآن»⁽⁶⁾.

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ سبب النزول هو: «عبارة عن واقعة أو حادثة - سواء كانت قولاً أو فعلاً أو سؤالاً - وقعت في زمان النبوة، ونزل القرآن من أجلها، مجيباً عنها، ومؤصّلاً لحكم الله فيها»⁽⁷⁾.

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008، ص76.

(2) الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2013.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبه، القاهرة، ط7، 2000، ص73.

(4) خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 2006، ج1/105.

(5) عبد الله طاهر، معرفة أسباب النزول وأثرها في اختلاف المفسرين والفقهاء، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008/08/12، ص12.

(6) مساعد الطيّار، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، ط2، 2008، ص124.

(7) عماد الدين الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشهاب، دمشق، ط1، 1999، ص23.

وعلى هذا، فيشترط فيما يعدّ سبب النزول؛ أمران:

الأول: أن ينزل القرآن من أجله وبسببه.

الثاني: أن ينزل في زمن وقوع الوحي.

وهناك أمثلة عديدة على كلّ نوع من أنواع أسباب النزول، تراجع في مظانها من كتب أسباب النزول.

ونختم الكلام عن تعريف أسباب النزول عند أهل العلم، بملحقين مهمين:

الملح الأول:

أنّ هناك فرقا واضحا في استعمال مصطلح أسباب النزول بين المتقدمين من الصحابة والتابعين، وما استقرّ عليه الاصطلاح العلمي عند المتأخرين، فعبارة سبب النزول لم تكن شائعة الاستعمال في عهد الصحابة والتابعين، وقلما نجد في الروايات عنهم قولهم: "سبب نزول هذا الآية كذا" وإنما الشائع قولهم: «نزلت هذه الآية في كذا وكذا، وهم لا يعنون بذلك دائما ما استقرّ عليه اصطلاح علماء القرآن والتفسير، بل يقصدون أنّ موضوع الآية كذا وكذا، وهو أشبه ما يكون بالاستدلال والاستنباط، وليس من باب النقل لما وقع»⁽¹⁾.

ومن هنا يتبين لنا أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستعملون السبب بمعناه اللغوي، وهو ما يتوصل به إلى الشيء، وعلى ذلك فكل لفظ يؤدي إلى معنى في الآية فهو مقصود، سواء كان سبب نزول الآية، أو كان تفسيراً للآية، أو كان ذكراً لقصة الآية، أو كان تنزيلاً للآية على الواقع.

ولكن عندما جاء المتأخرون قالوا: «سبب النزول هو: "ما نزل قرآن بشأنه أيام وقوعه"؛ ومن ثمّ حدثت لدى بعضهم إشكالات ناشئة عن عدم مراعاتهم لشمولية مصطلح الصحابة والتابعين المتسع، فطفقوا يبحثون عن الألفاظ الداخلة في مصطلحهم، فما إن وجدوا قول الصحابي: "نزلت هذه الآية في فلان وفلان" حتّى يقولوا: هذا سبب النزول، وبغضون الطرف عن مفهوم قول الصحابي، وهذا ما جعل العلماء يشير إلى ذلك ويضع ضابطاً له»⁽²⁾.

والخلاصة أنّ قول المتقدمين نزلت هذه الآية في كذا: يحتمل أحد أمرين:

«الأول: أن يدلّ على سبب النزول المباشر، والثاني: أن يراد به الاستدلال على الحكم بالآية، وأنّ هذا

(1) عبد القادر الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني، دمشق، ط2، 2012، ص488.

(2) الشيخ التيجاني أحمد، تاريخ القرآن الكريم، دراسة نقدية تحليلية، دار الضياء، الكويت، ط1، 2019، ص52.

الحكم ممّا يدخل في معناها، ولا يمكن أن يعلم المراد بأحدهما إلّا بالقرائن»⁽¹⁾.

وهذه التفرقة بين معاني المصطلحات عند المتقدّمين، وما شاع لاحقاً عند المتأخّرين من الأمور المهمّة جدّاً، والتي أدّى عدم الانتباه إليها إلى الوقوع في إشكالات عدّة في الكثير من العلوم، كالعقيدة والفقه ومصطلح الحديث وأصول الفقه.

الملح الثاني:

إنّ أسباب النزول - وإن سمّيت بهذا الاسم - فهي أقرب إلى كونها مناسبات من أن تكون أسباباً تقتصر الآية النازلة عليها، وترتبط بها ارتباط السبب بالمسبّب، بحيث يلزم من وجودها الوجود، ومن عدمها العدم. ومعنى ذلك أنّ وقائع أسباب النزول ليست منشئة للآيات، وليست العلة في تشريع الأحكام، وإنّما هي مناسبات للنزول تُعين على فهم الآيات.

وممّن نبّه إلى هذا الملح المهمّ محمّد الفاضل بن عاشور، والذي أشار إلى أن أسباب النزول: «ما هي إلّا مناسبات لا أسباب حقيقية، وإن سمّيت أسباباً عن طريق التّسامح والتّجوز، فإنّ العلماء متفقون على أنّ ما يدلّ عليه الكلام القرآني هو الذي يؤخذ به على ما في دلّالته من شمول واتّساع، لا يضيق منهما مراعاة الملابسات الظرفية التي اتّصلت بتاريخ نزوله»⁽²⁾.

وسوف نرى لاحقاً أنّ الاتجاه الحداثي قد أثار الكثير من اللغط حول هذه المسألة، وسعى بكلّ ما وسعه من جهد لتصوير أسباب النزول على أنّها عللاً وأسباباً منشئة للأحكام، وليست مجرد مناسبات لتشريعها⁽³⁾، ومن ثمّ اعتبرها قيوداً على شمول النصّ القرآني وعموم ألفاظه، والأحكام المستنبطة منه.

المطلب الثاني: مفهوم أسباب النزول عند الحداثيين العرب:

إنّ الواقف على تعريفات الحداثيين العرب لأسباب النزول يلاحظ أنّهم لم يتوانوا عن إضفاء توجهاتهم الأيديولوجية، وغايات مشروعهم الحداثي في إعادة قراءة القرآن والتراث الإسلامي عموماً، أثناء تحديدهم للمقصود بأسباب النزول، مع تنوّع الأساليب والصّور في هذا الصّدّد.

(1) مساعد الطيار، شرح مقدمة في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 2007، ص93.

(2) محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، دار السلام، القاهرة، 3، 2015، ص21. وانظر كذلك: غانم قدوري، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمّان، ط1، 2003، ص65-36.

(3) للتوسع ينظر: مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص38.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

وحتى في الحالات التي عرّف فيها بعضهم أسباب النزول بتفسير يقترب - وإن كان لا يتوافق تماما - مع ما ذكره أهل العلم القدامى والمحدثون الذين كتبوا في علوم القرآن، فغالبا لا يخلو الأمر من إضافة قيود أو تفسيرات أخرى للتعريف، تجعله يميل تجاه التوجه الفكري لهذا الكاتب.

ومن المهم أن نستعرض نماذج تؤيد الذي ذكرناه، ومن ذلك تعريف "حسن حنفي (ت2021)" للسبب بأنه: «الظرف أو الحادثة أو البيئة التي نزلت فيها الآية»⁽¹⁾، لكنه لا يقتصر على ذلك، بل يضيف على تعريفه بعض الظلال والتفسيرات المتأثرة بالمنهج الماركسي، فيشير إلى أنه «إذا كان لفظ النزول يعني الهبوط من أعلى لأسفل، فلفظ السبب إنما يعني الصعود من أسفل لأعلى، ولما كانت الآية لا تنزل إلا بعد وقوع السبب، كان الأدنى شرط الأعلى»⁽¹⁶⁾.

ومعنى ذلك أن الواقع وظروف البيئة - أو ما يسمّى بالبنية التحتية - هو الذي استدعى هذا البناء الفوقي أي نزول النص الشرع، ومجيئه بحكم تشريعي معين، ولولا هذا السبب لم ينزل النص.

ولا يخفى بطلان هذه الفكرة أصلا، ومناقضتها للإيمان بأن القرآن كلام الله ووحيه لعباده، وليس كلاما بشريا استدعته أحوال ما، ولا إفراز لظروف اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية لبيئة معينة في زمان بعينه، كما تدعي تفسيرات الماركسيين لظهور الإسلام وسائر الأديان.

وإذا انتقلنا لشخصية أخرى من العلمانيين، فسوف نجد أن أسباب النزول عند "نصر حامد أبو زيد" (ت2010) تعني: «نزول النصوص الدينية منجّمة، أي مفرّقة بحسب الظروف والملابسات والوقائع العينية المباشرة، وهو ما يعرف باسم أسباب النزول»⁽²⁾.

وهو يرادف بين أسباب النزول وما يسمّيه السياق الاجتماعي للنصوص، بما يعني أن «أسباب النزول ليست سوى السياق الاجتماعي للنصوص»⁽³⁾، ثم يرتب على هذا المفهوم أن استخلاص تلك الأسباب والوصول إليها ليس موقوفا على أمور من خارج النص فحسب، متمثلة في النقل والرواية، وإنما يمكن الوصول إليها أيضا من داخل النص، سواء في بنيته الخاصة أو في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام.

ولاشك أن تفسير نصر حامد أبو زيد لأسباب النزول بالسياق الاجتماعي للنصوص غير صحيح بالمرّة، فهو من جهة يخالف تعريفه الأول، كما يخالف ما أطبق عليه العلماء المتقدمون من تعريفهم لأسباب النزول،

(1) حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج1، دار قباء، القاهرة، ط2، 1998، ص20.

(2) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1994، ص200.

(3) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2014، ص111.

ثمّ هو أيضا يهدم فكرة أسباب النزول من أساسها؛ لأنّ هذا السياق الاجتماعي للنصوص أعمّ بكثير من فكرة سبب معيّن ينزل نصّ ما من أجله، ولا نعرف هذا السبب إلا بالنقل والرّواية.

أمّا ذلك السياق المشار إليه، فهو وإن كان مهمّا في فهم القرآن بصفة عامة، وتفسير آياته وفقا لمعهود الخطاب، وعادات المخاطبين الذين نزل فيهم أول مرّة⁽¹⁾؛ لكنّه لا يعتبر سببا لنزول آية بعينها، بل هو شرط في فهم الشريعة بصفة عامة، مثلما نبّه الشاطبي (ت 790هـ) إلى أنّه «لابدّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمرّ، فلا يصحّ العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمّ عرف، فلا يصحّ أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه»⁽²⁾.

وكلامنا السابق كلّه على فرض أنّ هذا السياق الاجتماعي للنصوص يقصد به مجمل الظروف التي أحاطت بنزول النصّ على مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، لا على ذاك المفهوم المتعسف لدى الحداثيين والذي يركّز على صورة متخيّلة لهذا الواقع، ويغلب جانبها على غيره، وكثيرا ما يكون الجانب الاقتصادي، انطلاقا من الخلفية الماركسية لكثير منهم.

ولا يكاد التناول الحداثي لأسباب النزول ينفكّ من الإلحاح على أحد الأفكار الأساسية التي وظّف الحداثيون العرب أسباب النزول من أجلها، وهو علاقة النصّ بالواقع، ولا يقتصر الأمر على إثبات تلك العلاقة التي لا يتصوّر إنكار أصلها، وإنّما يصل الشطط والغلو إلى القول بأولوية الواقع وأسبقيته وتقديمه على النصّ الشرعي، بل يصير الواقع هو صانع النصّ، ومكوّنه، والعلة في وجوده.

المبحث الثاني: صور من القراءة الحداثيّة العربية لمفهوم أسباب النزول:

في هذا المبحث سنتناول صورا من القراءة الحداثيّة الجديدة لمفهوم أسباب النزول، وماهي الضوابط التي وظفوها في هاته القراءة الجديدة.

المطلب الأول: عدم اتفاق الحداثيين العرب على مفهوم واحد لمصطلح سبب النزول:

المنتبّع لكتابات الحداثيين العرب حول أسباب النزول يمكنه أن يرصد محاولات عدّة للتلاعب بمفهوم سبب النزول، الذي درج أهل العلم المتقدّمون على استعماله، وألّفوا عشرات الكتب وفقا له، وقد أخذت تلك المحاولات العلمانية صورا شتى، نشير إلى أهمها فيما يلي:

(1) وقد أكد الإمام الشاطبي على أهمية مراعاة هذا الأمر، فانظر: الموافقات، تح: مشهر حسن سلمان، ج2، دار ابن عفان، القاهرة، ط4، 2013، ص103-111.

(2) الشاطبي، الموافقات، ج2/131.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

♦ يقول حسن حنفي المتأثر بالمنهج الماركسي الذي يتبنى فكرة أولوية الواقع على الفكر: «ما عبّر عنه القدماء باسم أسباب النزول، لهو في الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له، كما أنّ ما عبّر عنه القدماء باسم التأسخ والمنسوخ، ليدلّ على أنّ الفكر يتجدّد طبقاً لقدرات الواقع وبناء على متطلّباته، إنّ تراخي الواقع تراخي الفكر، وإن اشتدّ الواقع اشتدّ الفكر»⁽¹⁾.

♦ من المحاولات الأخرى للتخلّص من مسألة التسمية بسبب النزول، ما ذكره محمّد شحرور (ت2019) من التفرقة بين مناسبات النزول وأسباب النزول، حيث نقل كلاماً للزركشي حول عادة الصحابة والتابعين في القول بأنّ هذه الآية نزلت في كذا، قاصدين بذلك أنّها تتضمن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها⁽²⁾، ثمّ عقب شحرور على كلام الزركشي بأنّ عبارته تذكر بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه «كان يسمّيها مناسبات النزول، وليس أسباب النزول، والفرق بين التسميتين لا يخفى على أهله»⁽³⁾.

ومن الواضح أنّ محاولة شحرور هذه تأتي من منطلق نفيه لوجود أسباب نزول في القرآن، وإثبات ذلك فيما يتعلّق بالكتاب⁽⁴⁾، ولعله رأى أنّ مناسبات النزول أخف في الدلالة من أسباب النزول، ثمّ هي لا تتعارض مع دعواه في التفرقة بين القرآن والكتاب، ولا يخفى ما في هذا الكلام من مغالطات عدّة.

فتفرقته بين الكتاب والقرآن فيما يصدق عليه كلّ واحد منهما تفرقة باطلة تماماً، وكلام الزركشي لا يدلّ على دعواه بالتفرقة بين أسباب النزول ومناسباته، وإنّما يريد الزركشي أن ينبّه إلى أنّ قول بعض الصحابة والتابعين إنّ هذه الآية نزلت في كذا لا يلزم منه أنّ هذا سبب نزولها المباشر، وإنّما يقصدون أحياناً أنّ الآية تتضمن هذا الحكم ويمكن أن يستدل بها عليه، ولا يعني ذلك أنّه ليس هناك أسباب للنزول، ولا أنّ كلّ ما نقل عن الصحابة من أنّ الآية نزلت في كذا يعني الاستدلال به، بل ما نقله عنهم يتضمن النوعين، فهو أسباب تارة واستدلال تارة أخرى.

لدى سامر الإسلامبولي نجد دعوة صريحة إلى إلغاء مفهوم أسباب النزول، على أن يوضع مكانه مفهوم آخر وهو "تاريخية النزول" معلّلاً ذلك بتعليل غير صحيح، حيث خلط بين مفهوم السبب في علم أصول الفقه، ومفهوم السبب في علوم القرآن، مع أنّ بين المفهومين فارقاً كبيراً.

(1) حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط4، 1992، ص15.

(2) من الملاحظ أنّ محمّد شحرور قد ساق دعوى أنّ عليّ كان يسمي أسباب النزول بالملابسات، دون توثيق، أو مرجع يدل على ثبوتها، وهي سمة مطردة في كتابات الحداثيين.

(3) محمّد شحرور، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، الأهالي، دمشق، ط1، 2000، ص84.

(4) ينظر: محمّد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي، دمشق، ط1، دت، ص92.

وبناء على هذا الخلط بين المصطلحين جزم الإسلامبولي بأنّه: «لا يصح استخدام كلمة "سبب" على نزول التشريع الإلهي؛ لأنّ السبب هو: ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم، وهذا غير منطبق على التشريع؛ لأنّه سوف ينزل لا محالة كونه تشريعاً إنسانياً عالمياً وليس قومياً عينياً، والأصح إطلاق كلمة تاريخية نزول التشريع، التي تفيد دلالة الوقت والحدث المناسب الذي تمّ اختياره من قبل الخالق، لنزل النصّ التشريعي بصياغة مناسبة فوراً؛ لأنّ النصّ التشريعي ليس للتلاوة، إنّما هو تشريع للواقع الاجتماعي، ومن هذا الوجه ارتبطت أحداث معينة بنزول النصّ التشريعي ليس كسبب نزول له، وإنما كظرف مناسب لإنزال النصّ الإلهي إلى حيّز التطبيق العملي»⁽¹⁾.

ووفقاً لهذا التعليل السقيم انتهى الإسلامبولي إلى أنّ «مفهوم أسباب النزول يجب أن يُلغى ويوضع مكانه مفهوم تاريخية النزول، وبالتالي يفهم الدارس لهذا الموضوع من العنوان ابتداءً أنّه يدرس الظروف والحيثيات الزمكانية للمجتمع الذي تمّت فيه صياغة ونزول النصّ الإلهي»⁽²⁾.

ومنشأ الخلط والغلط في هذا الكلام ظنّ قائله أنّ مصطلح السبب لا يطلق إلّا على ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم، وهذا فهم خاطئ فالسبب بمفهومه العام أشمل من ذلك بكثير، ثمّ هو عند علماء القرآن يقصد به ما نزلت الآيات عقبه أو متحدثة عنه، ولا يقصدون أنّه لو عدم لما نزلت الآيات أصلاً.

المطلب الثاني: استحداث مصطلح جديد لسبب النزول:

لم يكتف بعض العلمانيين بالتلاعب في المفهوم المستقرّ لأسباب النزول، أو توظيفه لخدمة أهدافهم، وإنّما تجاوزوه من خلال نحت مصطلح جديد أكثر خطورة، وهي عادة مطّردة في باب الانحرافات الفكرية أن يبدأ الأمر بمسألة أو فكرة ما، ثمّ تتابها تطورات وتحولات عدّة، تذهب بها لمسار أكثر غلواً وأشدّ انحرافاً.

والمثال الواضح في هذا الصدد هو مصطلح "السياق التاريخي الاجتماعي لنزول الوحي" الذي ذكره نصر أبو زيد، ورأى أنّه يمثّل منظوراً أوسع للتعامل مع النصوص وعنصرها مهما من عناصر منهج تجديدي، يسمّى بمنهج القراءة السياقية للنصوص.

وهذا المنهج المزعوم لا يعتبر جديداً تماماً في رأي نصر أبو زيد، وإنّما يعتبره مزيجاً من تطوير مناهج علم أصول الفقه التقليدي من جهة، واستمراراً لجهود رواد النهضة خاصة محمد عبده، وأمين الخولي من جهة أخرى، ومن هذا المنطلق فإنّ هذا المنهج لا يرفض منظومة علوم القرآن، خاصّة علم أسباب النزول وعلم النسخ والنسوخ، إلى جانب منظومة علوم اللغة كأدوات أساسية للتفسير واستخراج الأحكام واستنباطها

(1) سامر الإسلامبولي، ظاهرة النصّ القرآني تاريخ ومعاصرة، الأوائل، دمشق، ط1، 2002، ص130.

(2) المرجع نفسه، ص130.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

من النصوص، بل يجعل هذه الأدوات من أهم أدوات منهج القراءة السياقية⁽¹⁾، يقول: «فإذا كانت القراءة بحسب ترتيب النزول أساسية للكشف عن المعاني والدلالات فإن القراءة بحسب ترتيب التلاوة تكشف عن المغزى والتأثير. ومنهج القراءة السياقية هو مراعاة السياقين في نسق كليّ تركيبي لا يغفل الفروق بينهما...» وبينما يؤكد علماء الأصول على أهمية أسباب النزول لفهم المعنى، فإنّ هذا المنهج الجديد، وما يتضمّنه من القراءة السياقية للنصوص، يتعامل مع المسألة من منظور أوسع «وهو مجمل السياق التاريخي الاجتماعي - القرن السابع الميلادي - لنزول الوحي؛ لأنّه هو السياق الذي يمكن للباحث من خلاله أن يحدّد في إطار الأحكام والتشريعات مثلاً بين ما هو من إنشاء الوحي أصلاً، وبين ما هو من العادات والأعراف الدينية أو الاجتماعية السابقة على الإسلام، كما يمكن التمييز في هذه الأخيرة بين ما تقبله الإسلام تقبلاً كاملاً مع تطويره كالحجّ مثلاً، وبين ما تقبله تقبلاً جزئياً مع الإحياء بأهميّة تطويره للمسلمين، مثل مسألة العبودية، وقضايا حقوق النساء، والحروب»⁽²⁾.

وبهذه الطريقة يتمّ التفرقة بوضوح بين السياق التاريخي الاجتماعي، وأسباب النزول، بما يمهد للاستغناء عنها وترسيخ المصطلح الجديد، وقد أكد نصر أبو زيد على تلك التفرقة، فقال: «علينا التفرقة بين أسباب النزول كمصطلح معروف في المعنى الفقهي في المرويات التراثية، وما أسميه السياق التاريخي للوحي، هذا السياق لا يمكنه أن يتجاهل مفهوم أسباب النزول في المعنى التاريخي للوحي، لكنّه لا يتعامل معه تعاملًا نقدياً؛ لأنّ هذه الأسباب متناقض، وبعضها الآخر يأتي تبريراً لمعنى معيّن، يريد المفسّر أن يفرضه، كما يجب عدم الاكتفاء بأسباب النزول؛ لأنّها كما ذكرت قليلة»⁽³⁾.

وهكذا ينتهي بنا الأمر مع نصر حامد أبو زيد، وما يسمّيه بالسياق التاريخي والاجتماعي لنزول الوحي إلى حيلة جديدة للتقلّت من دلالات النصوص الشرعية وأحكامها الواضحة.

(1) نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط3، 2004، ص203.

(2) م ن، ص202.

(3) انظر: حوار محمد علي الأتاسي: القرآن نص تاريخي وثائقي، ملحق جريدة النهار الثقافي، دمشق، عدد الخميس 17 أكتوبر 2002، www.رواق نصر أبو زيد.

المبحث الثالث: المتخيل والتاريخي وأثره في تشكيل مرويات أسباب النزول:

نهدف في هذا المبحث إلى عرض تصور الحداثيين حول الصدق التاريخي لمرويات أسباب النزول، إذ يرون أن مرويات أسباب النزول تعرضت للوضع والاختلاق، متأثرة بحضور المتخيل في هذه المرويات.

إنّ الحديث عن المتخيل L'imaginaire باعتباره أحد أهم المبررات التي فسّر بها الخطاب الحداثي وجود مرويات في أسباب النزول نسجتها المخيلة الجماعية لأجيال الرواية الأولى؛ مع أنّ هذا الرأي غريب، غير أنّ المطلع على الإنتاج الفكري لمنظري هذه المدرسة يلاحظ أنهم استخدموا هذا المبحث في تفسير ما يعتبرونه اختراقاً لقوانين العقل والمنطق، وتصادماً مع ضرورات الحس.

وعلى هذا الأساس يكون المتخيل الديني من أسباب وجود مرويات أسباب النزول، وهو ما ينفي أي صلة لها بمصدرها النبوي، ويتم بناء على ذلك يتم تفسير آيات القرآن الكريم بما تمليه إيديولوجيات والاتجاهات الفكرية الحداثيّة.

وجدير بالتنويه أن المجالات والمواضيع التي كان للمتخيل الديني أثر في اختراع وتشكيل نصوصها - حسب أصحاب هذه النظرية - مرتبطة غالباً بالغيبيات وما لا تدركه العقول، كأحاديث الجنة والنار، وأحاديث المعجزات، وأحاديث الملائكة والجن... وغير ذلك مما لا تدرك العقول كنهه، وتعجز الحواس عن الإحاطة به.

وهذا التفسير التبسيطي شائع في الكتابات الحداثيّة المعاصرة، وذاع بشكل أكبر - مؤخراً - من خلال الدراسات التي يصدرها عدد من مراكز الأبحاث، والتي تسعى جاهدة لتفسير وجود أبواب كاملة من النصوص النبوية إلى المخيال الديني للمسلمين.

المطلب الأول. مفهوم المتخيل الديني:

إنّ المتأمل في البحوث المعاصرة في دلالات المتخيل يكتشف أن هذا المصطلح عصيّ عن الحصر، وذلك يرجع إلى طبيعته المتنوعة، لكن ما يهمنا هو مفهومه عند الحداثيين العرب، فعرفه بسام الجمل بكونه: «جملة المنتجات السيميائية اللغوية أو غير اللغوية التي يصطنعها الإنسان الديني في علاقته مع المفارق والمطلق أو المحايث من أجل الإجابة عن أسئلة البدايات والدينيويات والأخرويات بعضها أو جميعها»⁽¹⁾.

(1) بسام الجمل، أسباب النزول، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2005، ص383.

ويعرفه نور الدين الزاهي بأنّه: «...الفضاء المشكل من الكيفيات المتعددة التي يهب بها الإنسان المعنى للأشياء، وذلك قصد تملكها تملكا دلاليا وماديا، إنّه المجال الذي يتعالى وفيه عن طبيعته الحسية، وكذا عن حسية ما يحيط به نحو التصور، والتمثل والترميز والحكي»⁽¹⁾.

وفي نسبتهم النصوص الحداثيّة لصناعة المتخيل الديني؛ لا يعني الخطاب الحداثي بالتخيل هنا تلك الأداة القادرة «على تمثيل الأشياء واستخلاص دلالة منها»⁽²⁾، وإنما يريدون المعنى المرادف لـ: الوهم واللاواقع والأسطورة.

فالتخيل الديني عند الحداثيين هو: تأليف صور ذهنية تحاكي الواقع ولا يكون له وجود حقيقي، ويأتي استجابة لآفاق الذهنية للأجيال الإسلامية الأولى، وتُبرز تفاصيل التصور الإسلامي للغيبيات والمعجزات ولكل ما هو مصادم للعقل مناقض للحس»⁽³⁾.

مؤدى هذا أنّ الأخبار المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في باب أسباب النزول اختراعا واختلاقا من مجموع الرواة؛ أملاه عليهم تصورهم وتمثلهم لهذه الأشياء، لا النقل الصادق لما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لاحظت القراءة الحداثيّة أنّ كثيرا من أخبار أسباب النزول نشأ في إطار ما يسمى بالتخيل، بمعنى أن الوعي الجمعي عند الأجيال الإسلامية الأولى هو الذي كونها، فقسموا روايات أسباب النزول من حيث مضامينها إلى قسمين: قسم يتعلّق بالكائنات اللامرئية، وقسم آخر يتعلّق بكسر نظام الطبيعة.

المطلب الثاني. أنواع مرويات أسباب النزول المتعلقة بالتخيل الديني:

1. أسباب النزول المتعلقة بالملائكة:

يرى أصحاب القراءة الحداثيّة أن أخبار أسباب النزول قد أسهمت في إثبات صور عديدة للملائكة أنتجها التخيل، لأمّرجع لها أصلا في القرآن الكريم، يقول بسام الجمل عن جبريل: «فقد أسقطت الأجيال الإسلامية على جبريل تمثلاتها لكائن من الكائنات اللامرئية، وألبسته قيما وسلوكا ومشاعر منتزعة من واقع الناس ف معاشهم وعلاقاتهم الاجتماعية. فهذا جبريل ينطق بلسان عربي ويستبد به الحزن ويجيش بالبكاء ويركب

(1) نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 2011، ص9-10.

(2) بسام الجمل، أسباب النزول، ص376.

(3) محمد رمضان أحمد رمضان، الاتجاهات العقلية المعاصرة في دراسة مشكل الحديث النبوي، تحليلًا ونقدًا، مركز البيان، الرياض، ط1، 2018، ص105.

الخيال ويتمثل في صورة بشر سوي»⁽¹⁾. ويقول عن الملائكة «فرغم أن الآية لم تنص على أي فعل صادر عن الملائكة، فإنّ سبب النزول جعلها تضرب وجوه المنافقين وأدبارهم. و لاشك في أنّ هذه التفاصيل والجزئيات من إنتاج المتخيل الإسلامي الذي يلتقط الإشارات القرآنية ويركّب عليها ن القصص أحسنها. ونعتقد أن ضرب الملائكة المنافقين ينمّ عن رغبة الوجدان الإسلامي في الانتقام منهم حتى وإن ذلك على صعيد فن القول لا الواقع التاريخي...ومن المعلوم أنّ صورة الملك ذي الجناحين أو أكثر لا صلة لها بالقرآن. ولكن المتخيل الجمعي استعار هذه الصورة من ثقافات أخرى»⁽²⁾.

2. أسباب النزول المتعلقة بخرق القوانين الطبيعية:

نتلخص فكرة القانون الطبيعي بأنه مجموعة القواعد المثالية الأبدية السرمدية الثابتة التي لا تتغير لا في الزمان ولا في المكان، يكشف عنها العقل الإنساني ولا يخلقها. لكن اصطدم الحداثيون بجملة من الأخبار خرق فيه القانون الطبيعي، كنزول المطر بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وحادثة انشقاق القمر، هنا يتدخل المتخيل الجمعي في أخبار أسباب النزول الذي لم يتخذ من القرآن الكريم إلا مرجعاً شكلياً «اتخذ المفسرون وعلماء القرآن حجة ظاهرة لنسج ما شاء لهم أن ينسجوا من قصص، وإنشاء روايات تحضر في مصادر وتغيب عن أخرى، عبّروا من خلالها عن خصائص تمثلهم لمرحلة النبوة، وعن ملامح الأنموذج المحمدي الذي بنوه في مخيالهم، وهو بالتأكيد أنموذج مباين لصورة محمد في القرآن»⁽³⁾.

المطلب الثالث: التاريخي في مرويّات أسباب النزول:

والأخبار التي لها مرجع تاريخي ولها علاقة بأسباب النزول، يرى بعض الحداثيين أن هناك محوين يمثلان ما هو تاريخي في أخبار أسباب النزول: يتعلق الأول بالمغازي في أخبار أسباب النزول، والثاني بالرسول والصحابة في مجتمع الدعوة.

ففيما يتعلق بالمغازي يرجع الاهتمام بها في أسباب النزول لارتباط هذا العلم في نشأته بالمغازي، واتفاق القدامى والمحدثين على تاريخية الغزوات والسرايا الموجهة ضد المشركين وأهل الكتاب، بمعنى أنها تضمنت أحداثاً تاريخية متصلة بالمغازي من جهة العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش، كما تضمنت علاقات الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه وبالمنافيقين «عبّرت عن حقائق تاريخية عكست أكثر مما عكست تمثلاً معيناً لها من قبل الإخباريين وكُتّاب السير والمغازي وعلماء القرآن. وهذا أمر بدهي متى سلّمنا

(1) بسام الجمل، المرجع السابق، ص 388.

(2) بسام الجمل، أسباب النزول، ص 390 - 391.

(3) م ن، ص 407.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

بمبدأ مهمّ في البحث التاريخي: وهو أن استعادة الأحداث الماضية عبر الكتابة والتدوين ملتبسة بضغوط لحظة الراهن من جهة ثقافة المؤرخ ونزعاته النفسية وميوله المذهبية⁽¹⁾. إنّ احتواء بعض أخبار أسباب النزول على جوانب من مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه دلالة على ارتباط تلك الأخبار بمرجع تاريخي واقعي. إذ تتكشف فيها الإحالات على أسماء أعلام معروفة، وعلى أزمنة وأمكنة محدّدة.

المطلب الرابع: إشكال التاريخي والمتخيل في أسباب النزول:

كما مرّ ذكره فقد أقرّ الخطاب الحداثي أنّ مرويّات أسباب النزول كرّست متخيل المجتمع الإسلاميّ الذيشكل صوراً عن كائنات لا مرئية، ألّبسها قيماً وسلوكاً ومشاعر منتزعة من واقع الناس في معاشهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فحضور الملائكة يعلل وجود الخير والأخلاق الحميدة، على عكس الشيطان فإنّ حضوره في مرويّات أسباب النزول يعلل وجود الشر والتصرفات المذمومة في حياة الناس.

إنّ الصورة التي رسمها المتخيل الحداثي للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والملائكة والشيطان موجودة في القرآن وصحيح السنة. فقد تمثّل جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام بشراً سوياً، وخاطبها بلسان تفهمه، وخاطبته مريم: قوله تعالى: { إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } [سورة مريم: 19-20]، والمنطقي أنّه خاطبها بلسانها ولسان قومها.

أمّا عن صورة الملائكة باعتبارها ذوات أجنحة، فهي صورة قرآنية قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ ۖ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة فاطر: 1]. ولو تتبعنا هذا لطال بنا البحث في التمثيل بما ذكرنا كفاية لتقويض رؤية الخطاب الحداثي للمتخيل.

وحاصل الأمر أنّ زعم الحداثيين من التمييز بين الصّورة القرآنية والصّورة المتخيلة التي اختلقها الوجدان الإسلاميّ أمر يكذب القرآن نفسه، كما أنّ توظيف التصور الوضعي القائل بصرامة القوانين الطبيعية واستحالة خرقها، مدفوع بالقرآن نفسه فخالق القوانين لا يعجزه شيء، فقد جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وجعل البحر كالطود العظيم، إحياء الموتى لعيسى عليه السلام.. كل هذا يعكس مآزق القراءات الحداثيّة في التعامل مع القرآن الكريم والعلوم التراثية التي نشأت حوله، وعجزها عن تقديم تصور معرفي موضوعي كبديل للمعارف التراثية، مما أوقعهم في عدة مزالق معرفية ومنهجية.

إنّ نظرية المتخيل الديني ليست نتاج دراسة موضوعية ومحايّدة قام بها أصحاب الاتجاهات العقلية

(1) م ن، ص 422.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

المعاصرة في دراستهم لمرويات أسباب النزول، ولا هي خلاصة لمبحث مبدع مضمّن، بل هو تقليد للمستشرقين فب نقدهم لنصوصهم المقدسة.

والخلاصة من هذا المبحث كلياً، هو أنّ توظيف مبحث المتخيل الديني كمبرر لرد المرويات الصحيحة في أسباب النزول، والاحتجاج على ذلك بمخالفاتها لدلالات العقل والحس، وتعارضها مع القرآن هو مسلك يفتقر للدليل، إضافة ما يشتمله من تجاهل لجهود العلماء في تمحيص السنة ونقدّها وشرحها.

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج تتدرج في سياق القراءة الحداثيّة للقرآن، والعلوم التراثية التي نشأت حوله، وقد عكست هذه الدراسة مآزق القراءات الحداثيّة فيما يتعلق بالتعامل مع المعارف التراثية حول القرآن، إذ اتجهت الدراسة نحو بيان عجز هذه المعارف عن تقديم تصور معرفي موضوعي لظهور القرآن الكريم وتفاعله مع واقعه، للخروج بموقف القطيعة مع هذه المعارف وقد أدى هذا الرهان الضاغط على الحداثيين إلى الوقوع في عدّة مزالق معرفية، منها:

- دعوة الحداثيين العرب إلى إعادة النظر بالكلية في العلوم الإسلامية.
- استيراد بديل وافد، ومنهجية جديدة يفهم من خلالها القرآن والسنة، وتعيد قراءة التراث بأسره.
- أنّ انحرافات الحداثيين العرب في التعامل مع أسباب النزول، ليست مجرد أخطاء عابرة في تناول قضية علمية ما، وإنما هي انحراف مقصود، وتطبيق لمنهج مغلوّط، ورؤية خاطئة منحرفة في التعامل مع المنهج الإسلامي بجملته.
- هدف الحداثيين من ذلك كلّهُ هو الوصول إلى مرحلة الانفلات الكامل من سلطة النصوص (القرآن والسنة).
- سعى الحداثيون لتفكيك المنهجية المعرفية الإسلامية، وهدم بنائها، بمعول الفكر الغربي المعاصر، وذلك من خلال التأكيد على ظنية ثبوت القرآن وحيا إلهيا، وما بني على هذا الوحي من أصول، إضافة لمحاولة إثبات تاريخية تلك الأصول، بمعنى أنه يستحيل أن تكون مطلقة متعالية عن تحكم الواقع المادي التاريخي في تكوينها وإنتاجها.
- أنّ الحداثيين العرب انطلقوا من رؤية فلسفية مادية وحدائية شتى، مثّلت الأساس الفكري لرؤيتهم، وتعاملهم مع الدين بكل مشتملاته.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة - قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

- أن ما كتبه الحداثيون حول أسباب النزول لم تقدّم إضافة معرفية منهجية، بل تعاملت معه تعاملًا إيديولوجيًا صرفًا.
- أن الخطاب الحداثي اعتمد على المتخيل في أسباب النزول، وتجاوز المسوغات المعرفية التراثية من الإيمان بالغيب وبالمعجزات.
- على الرغم من الإقرار بتأثر عدد من أبناء المسلمين بتلك الأفكار، فإنّ المحصلة النهائية هي عدم نجاح الحداثيين في تحقيق أهدافهم وآمالهم العريضة، وإخفاقهم البين في تحصيل ثمرة توازن ما بذلوه من جهود حثيثة خلال عدّة عقود.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية حفص

الكتب

- بسام الجمل، أسباب النزول، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2005.
- حسن حنفي، التراث والتجديد، حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط4، 1992.
- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج1، دار قباء، القاهرة، ط2، 1998.
- خالد المزيني، المحرر في أسباب النزول القرآن، ج1، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 2006.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2013.
- سامر الإسلامبولي، ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة، الأوائل، دمشق، ط1، 2002.
- السّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008.
- الشاطبي، إبراهيم بن إسحاق، الموافقات، ج2، تح: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط4، 2013.
- الشيخ التيجاني أحمد، تاريخ القرآن الكريم، دراسة نقدية تحليلية، دار الضياء، الكويت، ط1، 2019.
- عبد القادر الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، دار الغوثاني، دمشق، ط2، 2012.
- عبد الله القرني، تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، مركز تكوين، لندن، ط1، 2018.
- عماد الدين الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشهاب، دمشق، ط1، 1999.
- غانم قدوري، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 2003.
- محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي، دمشق، دط، دت.
- محمد شحرور، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، الأهالي، دمشق، ط1، 2000.
- محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ط1، 1997.
- مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.
- مسعود الطيار، شرح مقدّمة في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 2007.
- مسعود الطيار، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط2، 2008.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبه، القاهرة، ط7، 2000.
- نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط3، 2004.
- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2014.

مباحث علوم القرآن في القراءات الحداثيّة- قراءة نقدية في مصطلح "أسباب النزول"

نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1994.
نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 2011.

الأطروحات

عبد الله طاهر، معرفة أسباب النزول وأثرها في اختلاف المفسرين والفقهاء، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،
2008/08/12.

المقالات

ندى حمزة، "مصطلح الأنسنة وتجلياته في الفكر المعاصر، ودراسة تحليلية نقدية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، م28 ع6، 2020.

المواقع الإلكترونية

نصر حامد أبو زيد، "القرآن نص تاريخي وثقافي" ملحق جريدة النهار الثقافي دمشق عدد الخميس 17 أكتوبر 2002. رواق نصر
أبو زيد //www.